# الرسائل المدوّنة عند يوربيديس

فؤاد شرقاوى

تطالعنا فى الياذة هوميروس أول رسالة مدوّنة فى الأدب الإغريقى ، وهى تلك الرسالة التى حملها بللوفورنتيس Bellophorontes – الذى كان يجهل القراءة – إلى والد زوجته ، فى حين أن زوجة بروتيوس – صاحبة الرسالة – تحضه فيها على قتل بللوفورنتيس زاعمة أنه قد حاول مضاجعتها على غير رغبة منها[1] .

وفى حين لانكاد نخلو مأساة إغريقية من رسالة شفاهية تنقلها شخصية فرعية أو ثانوية أو رئيسية ، فإنه لا يوجد ، فيما بقى لدينا من مآس إغريقية ، سوى ثلاث رسائل مدوّنة نجدها فى ثلاث مآس ليوربيديس . وأول ما يتبادر إلى الذهن – فى هذه الحالة – أن يوربيديس قد تأثر بتكنيك هوميروس ، وأنه قد انفرد بين شعراء المأساة الإغريقية باستخدام الرسائل المدوّنة فى بعض مآسيه .

وتقودنا هذه الملاحظة إلى تساؤل ، هو محور هذا البحث ، حول قيمة تلك الرسائل المدوّنة – من الناحية الفنية – فى المآسى الثلاث المشار إليها ، أو – فى عبارة أخرى – ضرورة استخدام يوربيديس للرسائل المدوّنة بدلاً من الرسائل الشفاهية .

فى مأساة افيجنيا فى أوليس يكتب اجاممنون إلى زوجته – فى موكيناى – رسالتين يطلب فى الأولى حضورها إلى أوليس وبرفقتها ابنتهما إفيجنيا ليتم زفافها إلى اخيليوس ، فى حين أنه سيقدمها – فى الحقيقة – قرباناً لآرتميس [2] . وبعد أن تراجع أجاممنون عن التضحية بابنته ، يكتب إلى زوجته رسالة ثانية يطلب فيها عدم حضورها وابنتهما إلى أوليس نظراً لتأجيل الزفاف إلى وقت لاحق [3] .

وفى حين أن اجاممنون لم يستغرق وقتا طويلاً فى كتابة رسالته الأولى ، فإن الامر كان مختلفاً حينما شرع فى التفكير فى كتابة رسالته الثانية . فأجاممنون ينتابه القلق والتوتر طوال الليل ، ولا يعرف النوم طريقة إلى جفنيه ، وعندما يبدأ فى كتابة الرسالة – على ضوء مصباح خيمته – يجد صعوبة بالغة فى اختيار الالفاظ ، فيكتب كلمة ويمحو أخرى ، وعندما يختم الرسالة يعود ليفض ختمها من جديد فى توتر وعصبية بينما الدموع تنهمر من مقلتيه [4] . ولا ينتهى توتر اجاممنون وعصبيته بانتهاء كتابة الرسالة ، وإنما يخرج من خيمته ليذرع الطريق جيئة وذهابا مما يثير دهشة خادمه العجوز وتساؤله عن سر حالته [5] ، فإذا

بأجـاممنون يكشف له عن آلامه بكاملها ويسلّمه الرسالة لينقلها إلى زوجته ، بعد أن يطلعه على ماجاء فيها[٦].

وسنحاول الآن معالجة قصية رسالة أجاممنون المدوّنة إلى زوجته من حيث مغزاها الدرامى ، آخذين فى الأعتبار أنه قد قرأها على خادمه قبل أن يطلب منه نقلها إليها . يبدو لنا أن أحد أهداف هذه الرسالة المدوّنة ، بكل ما استغرقته من وقت فى التأمل والبحث عن الكلمات المناسبة ، وبكل ما احاط كتابتها من توتر ومعاناة ، هو الكشف عن شخصية اجاممنون بما يعتورها من جوانب قصور عديدة ومتباينة فى رأى نقاد كثيرين ، فأجاممنون شخصية ضعيفة مترددة[٧] ، غير حاسمة[٨] ، عاجزة عن اتخاذ القرار ويتنازعها واجب القيادة والأبوة[٩] ، ويسيطر عليها الخوف[١٠] ، والانانية وحب السلطة[١١] ، والطموح[١٢] . على أن الامر الذى لا يتطرق إليه الشك أن انتهاء الأمر بأجاممنون إلى كتابة تلك الرسالة الثانية يدل على أنه قد تخلص من عيوبه السابقة ،وأنه صار حريصا كل الحرص على وقف مجئ ابنته ، مخالفا رغبة الجيش ، لذلك يبعث رسالته فى الليل[١٣] ، فى الخفاء λαθρα[١٤] ،وعلى جناح السرعة[١٥] .وعندما يتم اكتشاف أمر الرسالة ، لا يغيّر اجاممنون موقفه الجديد وإنما ينتقد الجيش ، فى شجاعة ، ويتهمه بالحماقة μωρια[١٦] ، ويعارض التضحية بابنته لما فى ذلك من مخالفة للعرف والعدل ανομα κου δικαια[١٧] ، لكن وصول إفيجنيا المفاجئ[١٨] ، يسقط فى يد أجاممنون ويشعره بأن إرادة القدر، التى لاراد لها ، تلزمه بأن يضحى بأبنته[١٩] .

ويتصل بدور الرسالة المدّونة فى الكشف عن شخصية أجاممنون أمر آخر قد استهدفه يوربيدس وهو تقديم دراما نفسية . فالحدث يرتكز – بصفة اساسية – حول شخصية أجاممنون ويعرضها – بمهارة – من الزاوية النفسية[٢٠] .ومن خلال تردد أجاممنون وتغيّر قراره يقدم لنا يوربيديس دراما نفسية عن الحيرة والتردد[٢١] . ومن الجدير بالذكر – فى هذا الصدد – أن حالة أجاممنون النفسية تنعكس على حركاته وتعبيرات وجهه ، فهو يمشى بعصبية وقلق بالغ[٢٢] ، ويذرف الدموع المدرارة[٢٣] ، وترتسم على محياه دلائل التوتر والانزعاج[٢٤] .

وهناك سبب آخر ، غير التعبير عن حالة أجاممنون النفسية ، يبرز إرسال أجاممنون رسالة مدونة إلى زوجته رغم اطلاع خادمه، حامل رسالته ، على نصها . فهذه الرسالة الثانية تلغى ما جاء فى الرسالة الأولى ، إذ أنها تطلب من كليتمنسترا وابنتها –كما ذكرنا – عدم الحضور إلى أوليس فى الوقت الحالى بدعوى

تأجيل زواج ابنتها إلى وقت لاحق . وقد يساور كليتمنسترا ، التى أخذت أهبتها للرحيل وأعدت ما يلزم زفاف ابنتها ، الشك فى صحة ذلك فيما إذا كانت الرسالة شفاهية ، وربما لا تأخذها مأخذاً جدياً ، أما الرسالة المدوّنه المختومة بخاتم اجاممنون فستكون موضع تصديقها وثقتها . وعلى ذلك فإن حرص اجاممنون على أن تنّفذ زوجته رسالته بلا تردد ودون أن تساورها الشكوك هو الذى يجعله يبعث إليها رسالة مدوّنه مختومه بخاتمه [٢٥].

ويبدو لنا أن هناك سبباً جوهريا من جعل رسالة اجاممنون إلى زوجته رسالة مدوّنة ، وهو احكام حبكة يوريبيديس للمأساة عن طريق احباط خطة أجاممنون الرامية إلى وقف حضور ابنته تجنبا للتضحية بها . فمنيلاوس ، الذى يقضى الليل ساهراً قلقاً فى انتظار مجئ كليتمنسترا وابنتها ، يشك فى الأمر حينما يلمح خادم اجاممنون يحمل رسالة بين يديه وينطلق بها خارج المعسكر – فى اتجاه موكيناى – فيقبض عليه ويفض الرسالة ويطّلع على محتواها، ثم يصطدم مع شقيقه وينتهى الأمر باحباط خطته [٢٦]، وربما لم يكن من المتاح أن يحدث كل ذلك لو لم يكن خادم اجاممنون يحمل رسالة مدوّنة . على أن اكتشاف أمر رسالة أجاممنون وما يترتب عليه من احباط خطته أمر تحتمه الضرورة الدرامية ، فمن الضرورى أن يحدث الصدام بين أجاممنون ومينلاوس ليتم من خلال ذلك الكشف عن شخصيتهما ، ولابد – فوق ذلك – أن تتم التضحية بأفيجنيا .

وعلى ذلك فإن رسالة اجاممنون المدوّنة قد أدت أكثر من وظيفة ؛ فقد ساعدت فى الكشف عن جوانب شخصيته وفى تقديم دراما نفسية ، كما أن فشل الرسالة فى تحقيق خطة أجاممنون قد ساعد على تحريك الحدث نحو النهاية المحتومة التى تقتضيها الضرورة الدرامية ، أو يستلزمها القدر .

وبعد أن عالجنا رسالة أجاممنون إلى زوجته التى استهدف من ورائها انقاذ ابنته من الموت ، ننتقل إلى رسالة أخرى ،وهى رسالة أفيجنيا – فى مأساة أفيجنيا بين التاوريين – التى بعثت بها الى شقيقها أورستيس لإنقاذها من عذاب الحياة فى تاوروس. ففى مأساة إفيجنيا بين التاوريين نعرف أن أورستيس وصديقه بيلاديس قد حّلا بتاوريس – دون علم إفيجنيا – بينما كانت إفيجنيا قد اعدت رسالة إلى شقيقها أورستيس تخبره فيها أنها مازالت على قيد الحياة ، ولم تُذبح فى أوليس كما يظنون ، إذ أن الربة ارتميس قد فدتها بغزال ، ثم تطلب منه أن يجئ ليحملها إلى آرجوس قبل أن تموت فى تاوريس ، تلك الأرض الوحشية ، حيث قُضى عليها أن تحكم بالموت على كل غريب تطأ قدماه أرض تاوريس [٢٧].

وأول ما نلاحظه بشأن هذه الرسالة أن إفيجنيا لم تكتبها بنفسها ، وإنما أملتها على أحد الأسرى قبل أن يلقى حتفه فى تاوريس [٢٨]، مما يدل على امرين أولهما أنه قد انقضى وقت على كتابة تلك الرسالة ، وثانيهما أن إفيجنيا تجهل القراءة والكتابة. فلماذا لم ترسل إفيجنيا – إذن – رسالتها تلك إلى شقيقها قبل الآن ؟ يجيب نص المأساة على هذا السؤال عندما يشير إلى أن اورستيس وبيلاديس – اللذين لا تعرف إفيجنيا شخصيتهما – كانا أول غريبين ارجوسيين تلتقى بهما منذ اعدادها تلك الرسالة، وبالتالى فهما اجدر من غيرهما بحملها ، فضلا عن انهما يعرفان اسرتها [٢٩].وربما نستدل – من ناحية أخرى – من خلال احتفاظ إفيجنيا ، غير المتعمد ، برسالتها طوال الوقت على وظيفة غير مباشرة لتلك الرسالة المدوّنه وهى تجسيد حالة افيجنيا النفسية.

وما دامت افيجنيا تجهل القراءة والكتابة ، فما الذى يلزمها بأن تبعث إلى شقيقها رسالة مدوّنة ، بينما ستحقق الرسالة الشفاهية نفس الغرض ؟ . ليس امامنا – فى حقيقية الأمر – سوى محاولة اقتراح سبب يدعو إلى ذلك حيث أن نص المأساة لايقدم – فى هذا الصدد – سبباً واحداً مباشراً . فربما رغبت إفيجنيا فى إرسال رسالة مدوّنة إلى شقيقها بدافع من حرصها البالغ على أن تصل رسالتها إليه بكامل تفاصيلها دون أن يسقط منها – إن كانت شفاهية – بعض المعلومات أو التفصيلات التى يهمها ابلاغها إلى اورستيس ، الامر الذى يعكس حالة إفيجنيا النفسية المتمثلة فى حنينها الشديد إلى لقاء الأهل والعودة إلى الوطن والخلاص مما هى فيه .

وربما امكن تفسير رسالة افيجنيا المدوّنه فى ضوء صلتها بمشهد التعرف ، الذى يعد واحدا من ابدع مشاهد التعرف فى المأساة اليونانية [٣٠]،والذى لا يضاهيه براعة سوى مشهدا التعرف فى مأساتى هيلين وايون[٣١] . ومما يدل على قيمة ذلك المشهد من الناحية الفنية أن أرسطو يشيد به – فى كتابة فن الشعر – فى مناسبتين مختلفتين . فعند الحديث عن التعرف الذى يلزم أن يتم بين الطرفين مادام أن كلا منهما غير معروف للآخر ، يذكر أرسطو أن هذا النوع من التعرف نجده فى إفيجنيا فى تاوريس ، فأورستيس يتعرف على إفيجنيا ، ثم تتعرف إفيجنيا على أورستيس [٣٢].وعند الحديث عن أفضل أنواع التعرف ، يقدم أرسطو التعرف فى إفيجنيا فى تاوريس نموذجاً ، ذلك لأنه ينشأ من الأحداث ذاتها ويخضع لمبدأ الاحتمال To Eikos إذ أنه من الطبيعى أن تبعث إفيجنيا برسالة مدوّنة إلى شقيقها [٣٣].

لكنَ الأمر الذى يجب أن نُدْخله فى اعتبارنا أن التعرف بين الشقيقين كان امراً يستحيل حدوثه دون كشف محتوى الرسالة، لذلك فقد أوجد يوربيديس – فى براعة واقتدار – مبرراً لذلك حينما جعل بيلاديس، الذى أوكلت إليه مهمة حمل الرسالة ، يعّبر عن مخاوفه من فقدان الرسالة إذا ما تعرض لمخاطر البحر فى طريق عودته إلى ارجوس[٣٤] ، مما يضطر إفيجنيا إلى الإفضاء إليه بمحتواها ، ويقود – بالتالى – إلى التعرف بينها وبين شقيقتها [٣٥].

وعلى ذلك ، فإن التعرف – عن طريق كشف محتوى الرسالة – يحقق وظيفتين اساسيتين ؛ أولى هاتين الوظيفتين هى توجيه الاحداث وجهة مختلفة عما كان متوقعا ، وهوما يسمى بالتحول περιπετεια عند ارسطو [٣٦].فبدون التعرف كان موت أورستيس متوقعاً أو محتملاً ، كما أن بقاء إفيجنيا فى تاوريس كان – بالتالى – امراً محتماً . ولعل ما يميز التعرف فى إفيجنيا فى تاوريس انه مصحوب بالتحول ، مما يجعله ، بالمقياس الارسطى ، من ابدع التعرفات [٣٧].

أما الوظيفة الثانية للتعرف فى إفيجنيا فى تاوريس – عن طريق الرسالة – فهى تخفيف حدة التوتر والتشوف لدى الجمهور . فقد حرص يوربيديس طوال أكثر من نصف المأساة الأول على اللجوء إلى أكثر من وسيلة للمباعدة بين الشقيقين وتأخير التعرف بينهما . ومن بين الوسائل التى لجأ إليها يوربيديس لتأخير التعرف أنه قد جعل إفيجنيا يسيطر عليها هاجس بأن شقيقها قد مات [٣٨]، وألمح إلى صعوبة التعرف عليه–إن كان حيا – لأنها لم تره منذ كان طفلاً صغيراً [٣٩]، كما انها لا تعرف شخصا باسم بيلاديس[٤٠].كذلك حرص يوربيديس على غياب إفيجنيا فى المشهد الذى يخاطب خلاله بيلاديس أورستيس باسمه [٤١]، كما حال دون أن يفعل بيلاديس ذلك فى حالة وجود إفيجنيا قبل مشهد التعرف . وعندما يلتقى الشقيقان قبل تعرفهما يتهرب كلاهما من ذكر اسمه رغم سؤال كليهما الصريح عن ذلك[٤٢].وحتى عندما يقترب التعرف بين الشقيقين ، عندما تقوم إفيجنيا بتسليم خطابها إلى أحد الغريبين ، وهو شقيقها الذى لا تعرفه [٤٣]،فإن يوربيديس يؤخر التعرف بينهما لفترة وجيزة إلى حين تقوم إفيجنيا بالكشف عن محتوى رسالتها [٤٤].ولاشك أن كل هذه الوسائل التى لجأ إليها يوربيديس لتأخير التعرف تولّد لدى الجمهور شعوراً بالتوتر والتشوف إلى لحظة التعرف بين الشقيقين . على أن ذلك التعرف لا ينهى تماماً حالة الترقب والتوتر لدى الجمهور ، وإنما يقودهم إلى مرحلة اخرى يتابعون خلالها – بكل قلق – محاولة أفيجنيا واورستيس الهروب من تاوريس التى تتأرجح بين النجاح والأخفاق .

وعلى ذلك فإن رسالة إفيجنيا المدوّنه قد أدت أكثر من وظيفة ، فهى تجسد حالة إفيجنيا النفسية المتمثلة فى حنينها إلى أهلها فى آرجـــوس ورغبتها فى النجاة من تاوريس . كما أن تلك الرسالة تقوم بوظيفة تحقيق التعرف بين إفيجنيا وأورستيس مما يؤدى إلى نجاة إفيجنيا من تاوريس ونجاة أورستيس من الموت، وتخفف عن الجمهور – فى الوقت نفسه – حدة التوتر والقلق الذى يسبق موقف التعرف ، وتقود – من ناحية أخرى – إلى توتر جديد مبعثه محاولة إفيجنيا وأورستيس الهروب من تاوريس المحفوفة بالمخاطر .

وبينما تقدم لنا مأساة إفيجنيا فى أوليس رسالة كتبها أجاممنون لإنقاذ حياة ابنته من الموت ، وتقدم لنا مأساة إفيجنيا فى تاوريس رسالة بعثت بها إفيجنيا إلى شقيقها أورستيس لإنقاذها من عذاب الحياة فى تاوريس ؛ فإن مأساة هيبوليتوس تعرض علينا رسالة أخرى لها وظيفه درامية جديدة ، وهى تلك الرسالة التى كتبتها فايدرا إلى زوجها قبيل إنتحارها . ويثير هذا الظرف الغريب المحيط بتلك الرسالة أكثر من تساؤل ؛ فلماذا انتحرت فايدرا ، ولماذا تركت تلك الرسالة المدوّنة ؟

بدأت فكرة الانتحار تختمر فى ذهن فايدرا بعد معاناة عام كامل فى التغلب على حبها لابن زوجها هيبوليتوس ، ذلك الحب المحرم الذى ظل عاماً خافيا على الجميع بما فى ذلك هيبوليتوس نفسه العزوف عن عاطفة الحب [٤٥] .وتطالعنا فايدرا – فى بداية مأساة هيبوليتوس – بعد مرور ثلاثة أيام على اتخاذها قرار الانتحار البطئ ، إذ امتنعت منذ ذلك الوقت عن الطعام [٤٦] . ويدفع فايدرا إلى الانتحار شعورها بالخجل والخزى αἰδῶς من نفسها ، وخوفها من أن تلحق العار بزوجها واطفالها [٤٧] . ومن هذه الناحية تعتبر فايدرا امرأة فاضلة فقد حاولت أن تقهر حبها وأن تكبت عواطفها ، وعندما اكتشفت أن ارادتها ضعفت ، وأنها أصبحت غير قادرة على قهر حبها ، وكبت عواطفها فإنها فضّلت الموت على تلويث سمعتها وسمعة اطفالها [٤٨] . وهذه الطهارة التى تسعى إليها فايدرا هى ما يتوقع الاغريق أن تتحلى بها المرأة المتزوجة[٤٩] .ولقد بيّن يوريبيديس أن فايدرا قد عانت صراعاً نفسيا طويلاً اتضح من خلاله أن طهارتها لا يرقى إليها شك [٥٠] .ولعل ابرز ما يدل على حفاظ فايدرا على طهارتها انها فضّلت الموت فى صمت ؛ بامتناعها عن الطعام ، عن إفشاء سر حبها سواء لهيبوليتوس أو غيره .

غير أن سر فايدرا لم يعد –بعد الآن – خافياعلى أحد سوى هيبولبتوس وزوجها ثسيوس ، إذ تمكنت مربية فايدرا الماكرة أن تستدرجها وتلح عليها أن تبوح به إليها أمام الجوقة [٥١] .ولا تقنع مربية فايدرا بهذا ، وإنما تنتقد محاولة سيدتها الانتحار هروبا من الحب ، وتدّعى انها تملك عقاراً سحرياً بوسعه أن يدفع

هيبوليتوس إلى الهيام بها ، مما يغرى فايدرا بالانقياد لها – خاصة – بعد أن تستوثق من أن مربيتها لن تكشف امرها لهيبوليتوس [٥٢] . وفى تصورنا انقياد فايدرا وراء مربيتها يحمل بين طياته اكثر من دلالة. فهو يوّضح أن فايدرا لم تنجح كلية فى السيطرة على حبها لابن زوجها ، ويدل على أن شعورها بالخجل والخزى، αιδωs الذى لا يكمن – فحسب – فى خوفها من العواقب المخزية لذلك الحب المحرم ، بل فى عجزها عن مكاشفة هيبوليتوس بهذا الحب ، هو الذى يدفعها إلى قبول خطة مربيتها الماكرة التى تخلصها من ذلك الشعور بالخجل . ولعل أبرز ما يدل عليه انقياد فايدرا لمربيتها انها قد تراجعت – مؤقتا – عن فكرة الانتحار ، مادامت لن تكون عرضه للإحساس بالخجل والخزى ، وما دامت ستوفر لها مربيتها الحب والحياة .

على أن فايدرا لاتلبث أن تأخذ قرار الانتحار مرة أخرى بعدما اتضح لها أن مربيتها قد خانتها وافشت إلى هيبوليتوس سر حبها الذى قابله بثورة هائلة وغضب يفوق كل تصور [٥٣] . ويدل تصرف مربية فايدرا ، المتمثل فى عدم وفائها بالعهد الذى قطعته على نفسها أمام سيدتها ، على انها إمرأة عملية لا تقيم وزنا للجوانب الأخلاقية على العكس من سيدتها [٥٤] . ولقد شاء يوريبيديس أن يجعل تصرف مربية فايدرا على ذلك النحو حتى يعّجل – من خلال ذلك – بالحدث ، ويدفعه نحو النهاية المحتومة [٥٥] . وفى تصورنا أن تصرف المربية ، بما يترتب عليه من سوء العلاقة وفقدان الثقة من جانب فايدرا تجاهها ، يبرر استبعاد فايدرا لها فى تنفيذ خطة الانتحار كما سنرى فيما بعد .

لقد كانت فايدرا تعتزم – من قبل – الانتحار البطئ عن طريق الامتناع عن الطعام أما الآن فقد استقر رأيها على الموت فى الحال ΚαΤθειν οσον Ταχοs [٥٦] . يدفعها إلى ذلك الرغبة فى معاقبة هيبوليتوس على صلفه وغروره [٥٧] ، والخجل من انفضاح امرها ، والخوف من عودة زوجها – الغائب عن الوطن – المرتقبة بين لحظة وأخرى . وتأخذ فايدرا – بمفردها – فى تدبير خطة انتحار تصون سمعتها [٥٨] ،دون الاستعانة بمربيتها [٥٩] ، أو الجوقة . فلا شك أن تجربة فايدرا مع مربيتها قد لقنتها درساً لايمكنها نسيانه ، وأدت إلى شعورها الحاد بانعدام الثقة .

وتتمكن فايـــدرا من تنـــفيذ خطة انتحارها قبل عودة زوجها ، إذ تقوم بشنق نفسها [٦٠] ، بعد أن كتبت رسالة لزوجها – مختومة بخاتمها – علقتها فى رســـغها [٦١] .وعنـــدما يطّلع الزوج التعس على رسالة زوجته ، التى تدّعى فيها أن ابنه قد راودها عن نفسها ، يلعن الاب ابنه ويـــدعو الإله بوسيدون ألا يبـــقى ابنـــه علـــى قيد الحياة بعد اليوم جزاءً على جريمته الشنعاء [٦٢] .ولما كان هيـــبوليتوس قد اخذ عهداً

على نفسه ألا يكشف حب فايدرا له ، فإنه يعجز عن الدفاع عن نفسه بشتى الطرق ، ولا يلبث بوسيدون أن يستجيب لدعاء والده ، واخيراً تظهر الربة آرتميس لتعلن – بعد فوات الأوان – براءة هيبوليتوس [٦٣] .ويمكن القول أن الجزاء الذى ناله هيبوليتوس – رغم براءته – ناتج عن أن طهارته الزائدة عن الحد هى نوع من الجنون[٦٤] ،والمغالاة[٦٥] ،والتطرف[٦٦] . على أن الامر – فى تقديرنا – ليس مجرد مغالاة وتطرفاً فى الطهارة ، وإنما هو – أيضاً – مغالاة وتطرف فى غضبه الذى اصاب فايدرا بجرح مهين ، ودفعها إلى طريق مسدود بحيث لم يصبح أمامها إلا أن تدمر نفسها وتعمل على تدميره .

ولقد توفرت فى خطة انتحار فايدرا اسباب النجاح التى حملت والد هيبوليتوس على ادانة ابنه ، وحققت – فى نهاية الامر–هلاكه – . فإنتحار فايدرا يؤكد صحة اتهام هيبوليتوس ، لذلك يبدو اقتناع ثسيوس بدفاع هيبوليتوس شيئاً محتملاً أو ضروريا أيضا[٦٧] . وهذا ما نلمسه – فى واقع الأمر – فى أكثر من موضع من مشهد الانتحار [٦٨] .على أن الأمر الذى يجب أن نُدْخله فى اعتبارنا أن سرعة انتحار فايدرا قبل عودة زوجها قد حققت النتيجة المرجوة من ورائه ، وهى إدانه هيبوليتوس التى يترتب عليها هلاكه . أما لو تأخرت فايدرا فى الانتحار فقد يطلع الابن اباه على الحقيقة ويفّوت الفرصة عليها ، وهو الأمر الذى فطنت إليه فايدرا وخشيت حدوثه فعجّلت بانتحارها [٦٩] .

عـلى أن رسالة فايدرا الكاذبة ، التى تركتها لزوجها قبيل انتحارها ، تُعد ركناً اساسياً فى نجاح خطة انتحارها . فتلك الرسالة هى الوسيلة التى تنتقم بها من هيبوليتوس لما قدم لها من إهانة ، وتدافع بها عن سمعتها وشرفها إذا ما أراد هيبوليتوس أن يكشف الحقيقة لوالده ثسيوس [٧٠] .إنها دليل حى لا يرقى إليه الشك [٧١] .كما أن ردود أفعال هيبوليتوس غير الطبيعية تجاهها قد جعلته يبدو مدانا [٧٢] . وعلى الرغم من أن رسالة فايدرا قد حققت الغرض منها وهو إدانة هيبوليتوس دون إصغاء ابيه إلى دفاعه عن نفسه[٧٣] ،فإنها – من ناحية اخرى – تحقق غرضاً آخراً هو إدانة ثسيوس بالاندفاع أو التهور الناتج عن تصديق زوجته دون تريث أو تعقل [٧٤] .

وربما امكن النظر إلى رسالة فايدرا الكاذبة الى زوجها بوصفها إحدى حلقات التشويق فى هذه المأساة الذى بدأت حلقته الأولى فى البرولوج حينما صرحت افروديتى بأنها ستكشف الأمر إلى ثسيوس وسيضحى ذلك واضحاً جليا [٧٥] δειξω δε θησει πραγμα, κακφνηθεται.

ويتوالى الكشف التدريجي ابتداء من كشف حب فايدرا الى كل من المربية والجوقة ، ثم هيبوليتوس . ويأتي بعد ذلك دور الرسالة الكاذبة في الكشف لثيوس عن جريمة هيبوليتوس الملفقة ، واخيرا ينكشف كذب الرسالة وبراءة هيبوليتوس بعد فوات الآوان .

فإذا كانت رسالة فايدرا التى كتبتها إلى زوجها قبيل انتحارها قد أدت كل هذه الادوار ، فهل كان الأمر يختلف كثيراً إن كانت رسالتها إليه رسالة شفاهية تنقلها المربية على سبيل المثال ؟ . فى تصورنا أن فايدرا استبعدت اسناد هذه المهمة إلى مربيتها واختارت أن تكون رسالتها إلى زوجها مدوّنه لأكثر من سبب . فمن المتوقع أن تتعرض المربية لضغوط من هيبوليتوس عندما يدافع عن نفسه ، أو تواجه استفسارات من الزوج تحملها على كشف الحقيقة وإفشال خطة سيدتها فى إدانة هيبوليتوس . ولعل السبب الجوهرى وراء استبعاد فايدرا الاستعانة بمربيتها هو انها قد فقدت الثقة فيها بعد أن افشت سرها إلى هيبوليتوس كما بيّنا من قبل . ولعلى لا اكون مبالغاً إن قلت أن حالة فقدان ثقة فايدرا فى مربيتها قد دفعتها ألا تخبر مربيتها باعتزامها كتابة رسالة إلى زوجها قبيل انتحارها ، فضلاً عن أنها علّقت تلك الرسالة فى رسغها ليكون ثسيوس أول من يطالعها عندما يقترب من جسد زوجته الضريع ، ثم انها ختمتها بخاتمها حتى يكون هو أول من يفضها ويطلع على ما فيها .

تلعب رسالة فايدرا – إذن – دوراً اساسياً فى خطة انتحارها صوناً لتلويث شرفها وسمعة زوجها وابنائها، وانتقاماً – فى الوقت نفسه – من أعراض هيبوليتوس عن حبها . وتؤدى الرسالة دوراً هاماً فى تحريك الاحداث نحو نهايتها المحتومة حينما تكشف لتسيوس عن جريمة ابنه الملفقة . وتجسد تلك الرسالة المدوّنه حالة إنعدام ثقة فايدرا فى مربيتها وإلا كانت قد أوكلت إليها نقل رسالتها إلى زوجها .

لعلنا لاحظنا أن يوربيديس ، الذى انفرد بين شعراء المأساة الاغريقية باسلوب الرسائل المدوّنة ، قد برع فى توظيفها – فى مآسى إفيجنيا فى أوليس وأفيجنيا بين التاوريين وهيبوليتوس – فى الكشف عن شخصيات اصحابها ، وابراز ما يعتمل بجوانحها من مشاعر الطموح والقلق والتردد واللهفة والكرامة ، وتسليط الضوء على علاقاتهم بالآخرين ، وتحريك الاحداث نحو نهايتها المحتومة، مما يحملنا على القول بأن استخدامها الواعى فى تلك المآسى كان يستهدف تحقيق كل هذه الوظائف الفنية .

# الحواشي والمراجع

(١) Homeros, Iliad, VI, 165 ff.

(٢) Iph. Au., vv.89 - 105.

(٣) Ibid, vv.117 - 123.

(٤) Ibid, vv.34 - 40.

(٥) Ibid, vv. 12 - 16 , 43 - 48.

(٦) Ibid, vv. 88 - 123.

(٧) A.Bonnard, Iphigénie à Aulis, Tragique et Poésie,In : MH 11, 1945, P.91.

H.Funk, Aristotles Zu Euripides' In Aulis, In : Hermes 92, 1964, P.286.

T.A. Sinclaire, A History of Classical Greek Literature From Homer To Aristotle (London : Routledge & Kegan Paul LTD, 1949) P. 286.

(٨) H.D.F. Kitto, Greek Tragedy , (London : Methuen & Co LTD, Rep., 1951).PP.362 - 364.

(٩) A.E. Haigh, The Tragic Drama of The Greeks (New Yourk : Dover Publications,1968). P.315.

(١٠) Philip Vellacott, Ironic Drama. A Study of Euripides' Methed & Meaning (Cambridge : Combridge Universily Pr. 1975) P.219.

Herbert Siegel, Agamemnon In Euripides' Iphigeneia At Aulis, In : Hermes, 109, 1981, P.259. PP.263-264.

(١١) Bruno Snell, The Discovery of the Mind In Greek Philosophy & Literature (New York: Dover Publications,1982 P.130.)

(١٢) Gilbert Murray, Euripides & His Age (London : Willam & Worgate, 1927) PP.176 - 177.

(١٣) Iph.Au., vv. 6-8, 12 - 15.

(١٤) Ibid, v.326.

(١٥) Ibid, vv.138-139, 157-160.

(١٦) Ibid, v.394.

(١٧) Ibid, v.399.

(١٨) Ibid, vv.414 - 439.

(١٩) Ibid, vv.511 - 512.

(٢٠) Albin Lesky, Greek Tragedy ( London : Ernest Ben LTD, 1978) P.193.

(٢١) John Jones, On Aristotle & Greek Tagedy ( London : Chatto & Windus 1982) P.247.

(٢٢) Iph. Au., v.12.

(٢٣) Ibid, vv. 39 - 40 , v. 398, vv.451- 452,v. 477.

(٢٤) Ibid, v.644 .

(٢٥) Ibid, vv. 154 - 157.

(٢٦) Ibid,v. 303 ff .

(٢٧) Iph. Tau., vv. 770 - 786.

(٢٨) Ibid, vv. 584 - 585.

(٢٩) Ibid, vv. 588 - 592.

(٣٠) Gilbert Murray, Op. cit ., P. 146

(٣١) Oliver Taplin, Greek Tragedy In Action ( London : Methuen & Co LTD, 1976) P.72.

(٣٢) Arist., Poetics, 1452 B 5 - 8.

(٣٣) Ibid, 1455 A 16 - 19 .

(٣٤) Iph. Tau., vv. 755 - 758.

(٣٥) Ibid, v. 793 ff.

(٣٦) Arist., Peotics, 1452 A 22 - 24 .

(٣٧) Ibid, 1452 A 32 - 33.

(٣٨) Iph. Tau., vv. 54 - 58 , 348 - 350 , 373 - 374, 378 - 379.

(٣٩) Ibid, vv. 230 - 234 .

(٤٠) Ibid, vv. 59 - 60, 248 - 250.

(٤١) Ibid, v. 70 ff.

(٤٢) Ibid, vv. 499 - 504, 540 - 541.

(٤٣) Ibid, v. 578 ff.

(٤٤) Ibid, v. 769 ff.

(٤٥) Hipp., vv. 34 - 40 .

(٤٦) Ibid, vv. 135 - 140.

(٤٧) Ibid, vv. 385 - 423.

(٤٨) يوريديس ، هيبوليتوس ، ترجمة وتقديم ، د . عبد المعطى شعراوى ، مراجعة د. أحمد

عثمان ( الكويت : وزارة الاعلام ، المسرح العالمى ، العدد ١٨٢ ، ١٩٨٤ ) ص ١٢

(٤٩) L.Moulinier, Le Pur e L'Impur dans La Pensée des Grecs d'Homére à Aristote (Paris, 1952) PP. 203 - 205.

(٥٠) S.G. Flygt, Treatment of Character In Euripides and Seneca . The Hippolytus, In : CJ, Vol. 29 , 1943, P.512.

(٥١) Hipp., vv. 322 - 361 .

(٥٢) Ibid, vv. 440 - 521.

(٥٣) Ibid, vv. 589 - 600

(٥٤) Bruno Snell, Op. Cit., P.129.

(٥٥) S.G. Flygt, Op. Cit, P. 510 .

(٥٦) Hipp., v.599.

(٥٧) Ibdi, vv. 728 - 731 .

(٥٨) Ibid, vv. 687 - 688, v.723.

(٥٩) Ibid, vv. 706 - 709 .

(٦٠) Ibid, vv. 778 - 779.

(٦١) Ibid, vv. 856 - 859.

(٦٢) Ibid, vv. 885 - 890.

(٦٣) Ibid, v. 991 ff.

(٦٤) S.G. Flygt, Op. Cit, P. 508.

(٦٥) Aldin Lesky, Op. Cit, P.152.

(٦٦) Gilbert Murray, The Literature of Ancient Greece ( Chicago : Phoenix Books, Univ. of Chicago Pr. 1956) P. 270

(٦٧) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ترجمة وتقديم ، د . عبد المعطى شعراوى ، ص ١٢

(٦٨) Hipp., vv. 971 - 972, v.1077.

(٦٩) Ibid, vv. 688 - 692.

(٧٠) يوربيديس ، هيبوليتوس ، ترجمة وتقديم ، د . عبد المعطى شعراوي، ص ١١ .

(٧١) Oliver Taplin, Op. Cit, P. 95.

(٧٢) Gilbert Murray, Op. Cit, P.261.

(٧٣) Hipp., vv. 959 - 961 , 1057 - 1059.

(٧٤) Ibid, vv. 1310 - 1311 , 1336 - 1337.

(٧٥) Ibid, v. 42.